

لَوْ أَسْتَطَعْنَا لَخَرَجْنَا مَعَكُمْ يُهْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ وَاللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ ﴿٤٢﴾ عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ ﴿٤٣﴾ لَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ يُولُون بِإِلَهِ الْيَوْمِ وَالْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُنْفِقِينَ ﴿٤٤﴾ إِنَّمَا يَسْتَغْنِيكَ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ ﴿٤٥﴾ وَلَوْ أَرَادُوا الْخُرُوجَ لَأَعَدُّوا لَهُ عُدَّةً وَلَكِنْ كَرِهَ اللَّهُ انْبِعَاثَهُمْ فَثَبَّطَهُمْ وَقِيلَ اقْعُدُوا مَعَ الْقَاعِدِينَ ﴿٤٦﴾ لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالًا وَلَأَوْضَعُوا خِلَالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٤٧﴾ لَقَدْ ابْتَغُوا الْفِتْنَةَ مِنْ قَبْلُ وَقَلَّبُوا لَكَ الْأُمُورَ حَتَّى جَاءَ الْحَقُّ وَظَهَرَ أَمْرُ اللَّهِ وَهُمْ كَاذِبُونَ ﴿٤٨﴾ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ أَتَذُنَّ لِي وَلَا نَفْتِنِّي أَلَا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ ﴿٤٩﴾ إِنْ تُصِيبَكَ حَسَنَةٌ فَسُوءُهُمْ وَإِنْ تُصِيبَكَ مُصِيبَةٌ يَقُولُوا قَدْ أَخَذْنَا أَمْرَنَا مِنْ قَبْلُ وَيَتَوَلَّوْا وَهُمْ فَرِحُونَ ﴿٥٠﴾ قُلْ لَنْ يُصِيبَنَا إِلَّا مَا كَتَبَ اللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَانَا وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾ قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسَيْنَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمْ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِّنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ ﴿٥٢﴾

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ ذَلِكََ الَّذِينَ أَلْفِئِمٌ فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ﴾

أَنْفُسَكُمْ وَقَتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً وَعَلِّمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ ﴿٣٦﴾ :

﴿إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ﴾ لكل سنة ﴿عِنْدَ اللَّهِ﴾ قراراً تكوينياً وآخر تشريعياً ﴿إِنَّا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَابِ اللَّهِ﴾ في تكوينه وتشريعته، منذ ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ وأدار الأرض والشمس والقمر، عوامل حركية ثلاثة لمظاهر الزمن أياماً وشهوراً وسنين ﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ .

ذلك، وأساس هذه الشهور هي الأهلة دون الشهور الشمسية، فقد ﴿يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْأَهْلِ قُلْ هِيَ مَوَاقِيتُ لِلنَّاسِ وَالْحَجِّ﴾^(١) كما والشهر بمختلف صيغة الواردة في القرآن عشرين مرة أخرى لا يعني به إلا القمري لا سواء، ومن نصوصها ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ﴾^(٢) .

ذلك، وقد تتأيد عناية القمرية منها بأن حساب الشهور الشمسية حديث، وهنا ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ يحول عدة الشهور إلى بداية الخلق.

وهنا ﴿كِتَابَ اللَّهِ﴾ هو أولاً كتاب التكوين لمكان ﴿يَوْمَ خَلَقَ...﴾ ثم التشريع على هامشه في كل شرائع الله، لا فقط الشرعة القرآنية. وهكذا ﴿هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُورًا وَقَدَرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابِ﴾^(٣) حيث قرر تقدير منازل القمر وسيلة ظاهرة محسوسة لمعرفة السنين والحساب.

وهنا المناسبة لهذه المحاسبة الثقيلة أن المؤمنين أمروا بجهاد الروم وحلفاءهم من نصارى العرب في شمال الجزيرة - غزوة تبوك - وكان ذلك

(١) سورة البقرة، الآية: ١٨٩ .

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٨٥ .

(٣) سورة يونس، الآية: ٥ .

في رجب المنسأ وهو جمادى الآخرة ولكن ملابسة ماكرة كانت تمنع عن هذه الغزوة وهي أن رجب في هذا العام لم يكن بسبب النسيء في مواعده الحقيقي بحساب الأشهر القمرية، فكأن رجب كان في جمادى الآخرة، أو كان محرماً كان في صفر، على اختلاف بين رجب ومحرم من حيث كونه من الأشهر الحرم.

فلذلك بزغت الآية بتثبيت الأشهر القمرية كأوقات شرعية ثم التالية حملت على النسيء.

وهنا ﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ كيوم واحد، ثم في آيات أخرى ﴿خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ﴾^(١) مما يبرهن على أن ﴿يَوْمَ﴾ هنا وهناك هو مطلق الزمان المقدر بأقداره حسب مختلف المقدرات فيه، ف﴿يَوْمَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ﴾ يعني مجموعة الأيام الستة اعتباراً بجمع الخلق، ثم الستة اعتباراً بأجزاء الخلق، المفسرة المفصلة في فصلت فراجع.

﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ فما هي؟ هي طبعاً أربعة محترمة لساحة الحج فهي إذا «رجب - ثم - شوال - ذو القعدة - ذو الحجة» كما يروى^(٢) فالأول لحرمة خاصة العمرة مهما عمت في سائر الشهور، والثلاثة المتواصلة لمجموع الحج والعمرة ولا سيما حج التمتع.

(١) سورة الأعراف، الآية: ٥٤.

(٢) كما في نور الثقلين ٢: ٢١٤ في الكافي عن تفسير القمي بسند مسنداً عن زرارة قال كنت قاعداً إلى جنب أبي جعفر عليه السلام وهو محتب مستقيل الكعبة فقال: أما إن النظر إليها عبادة فجاءه رجل من بجيلة يقال له عاصم بن عمر فقال لأبي جعفر عليه السلام: إن كعب الأحبار كان يقول: إن الكعبة تسجد لبيت المقدس في كل غداة فقال أبو جعفر عليه السلام: فما تقول فيما قال كعب؟ فقال: صدق القول ما قال كعب فقال أبو جعفر عليه السلام: كذبت وكذب كعب الأحبار معك وغضب، قال زرارة ما رأيته استقبل أحداً يقول: كذبت - غيره ثم قال: ما خلق الله بقعة في الأرض أحب إليه منها - ثم أومى بيده نحو الكعبة - ولا أكرم على الله تعالى منها، لها حرم الله الأشهر الحرم في كتابه يوم خلق السماوات والأرض ثلاثة متوالية للحج: شوال - ذو القعدة - ذو الحجة وشهر مفرد للعمرة: رجب.

أم والمحرم بديل شوال، كما يروي في أخرى^(١)، واستثناء شوال لا يضر بزمان من الحج والعمرة، ولأن ﴿الْحَجُّ أَشْهُرٌ مَّعْلُومَةٌ﴾^(٢) هي الثلاثة الأولى، ثم و«رجب» غرة العمرة فقد ترجّح الأربعة الأولى على الأخيرة، وما لفظة «المحرم» بالتي تدمجها فيها، ودعوى الإطباق بين الفريقين على الثانية لا نعرف لها وجهاً إلا نفس الإطباق المدعى، إلا أن المتواتر معنوياً في الآثار عدّ المحرم من هذه الأربعة، إضافة إلى تظافر النقل عن الرسول ﷺ والأئمة من عترته ﷺ على ذلك، فالأشبه إذا عد المحرم منها بديلاً عن شوال، ومما يرجحه أن الحجيج بعد ختام شعائرهم يظلون أياماً أم أكثر بعد ذي الحجة في الحرم، فقد يناسب كون المحرم من الأربعة الحرم، وأما شوال فالوافدون فيه للمناسك قلة، أم هم لأقل تقدير أقل بكثير من الباقيين بعد ذي الحجة.

وقد يفضل المحرم مرة أخرى لمكان ﴿فَإِذَا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ﴾^(٣) بعد ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ﴾^(٤) حيث الظاهر منها هو التلاحق فيها.

(١) في الدر المنثور ٣: ٢٣٤ عن أبي بكرة أن النبي ﷺ خطب في حجته فقال: إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم ثلاث متواليات: ذو القعدة وذو الحجة والمحرم ورجب مضر الذي بين جمادي وشعبان، وفيه عن ابن عمر عنه ﷺ مثله.

وفي نور الثقلين ٢: ٢١٥ في تفسير العياشي عن أبي خالد الواسطي عن أبي جعفر ﷺ حدثني أبي علي بن الحسين عن أمير المؤمنين ﷺ أن رسول الله ﷺ لما ثقل في مرضه قال: أيها الناس أن السنة اثنا عشر شهراً منها أربعة حرم، ثم قال بيده: رجب مفرد وذو القعدة وذو الحجة والمحرم ثلاث متواليات...

أقول: فهاتان روايتان حول ﴿أَرْبَعَةَ حُرُمٍ﴾ [التوبة: ٣٦] وهنا ثلاثة في الخصال عن أبي عبد الله ﷺ تقول: منها أربعة حرم: عشرون من ذي الحجة والمحرم وصفر وشهر ربيع الأول وعشرون من ربيع الآخر وتأويلها أنها حرم خاص بـ ﴿فَيَسِيحُوا فِي الْأَرْضِ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ...﴾. فإذا أُنْسِلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ [التوبة: ٢-٥].

(٢) سورة البقرة، الآية: ١٩٧. (٣) سورة التوبة، الآية: ٥.

(٤) سورة التوبة، الآية: ٢.

وعلى أية حال فقلب الأشهر الحرم هو ذو الحجة الحرام، وقد خطب رسول الله ﷺ فيه خطبته الغراء قائلاً أيها الناس هل تدرون في أي شهر أنتم وفي أي يوم أنتم وفي أي بلد أنتم؟

قالوا: في يوم حرام وشهر حرام وبلد حرام، قال: فإن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام كحرمة يومكم هذا في شهركم هذا في بلدكم هذا إلى يوم تلقونه ثم قال: اسمعوا مني تعيشوا: ألا لا تظالموا، ألا لا تتظالموا، إنه لا يحل مال امرئ إلا بطيب نفس منه، ألا إن كل دم ومال ومأثرة كانت في الجاهلية تحت قدمي هذه إلى يوم القيامة^(١).

﴿ذَلِكَ الَّذِينَ أَلْقَيْنَا﴾ وقد تعني إلى ﴿أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ ﴿عِدَّةَ الشُّهُورِ...﴾ فالدين القيم الثابت الذي لا حول عنه في شرعة الله هو اعتبار الشهور هكذا اثنا عشر شهراً، ثم و﴿مِنْهَا أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِنَّ أَنْفُسَكُمْ﴾ والقدر المعلوم من مرجع ضمير الجمع هو ﴿أَرْبَعَةٌ حُرْمٌ﴾ حيث حرم فيها القتال

(١) الدر المنثور ٣: ٢٣٤ - أخرج أحمد والباوردي وابن مردويه عن أبي حمزة الرقاشي عن عمه وكانت له صحبة قال: كنت آخذاً بزمام ناقة رسول الله ﷺ في أوسط أيام التشريق أذود الناس عنه فقال: أيها الناس... وأن أول دم يوضع دم ربعة بن الحرث بن عبد المطلب كان مسترضعاً في بني ليث فقتلته هذيل - ألا وإن كل رباً كان في الجاهلية موضوع، وإن الله قضى أن أول رباً يوضع رباً العباس بن عبد المطلب لكم رؤوس أموالكم لا تظلمون ولا تظلمون، ألا إن الزمان قد استدار كهيئة يوم خلق السماوات والأرض، ألا وإن عدة الشهور عند الله اثنا عشر شهراً في كتاب الله يوم خلق السماوات والأرض منها أربعة حرم ذلك الدين القيم فلا تظلموا فيهن أنفسكم ألا لا ترجعوا بعدي كفاراً يضرب بعضكم رقاب بعض، ألا إن الشيطان قد أيس أن يعبد المصلون في جزيرة العرب ولكنه في التحريش بينكم واتقوا الله في النساء فإنهن عوان عندكم لا يملكن لأنفسهن شيئاً وأن لهن عليكم حقاً ولكم عليهن حقاً لا يوطئن فراشكم أحداً غيركم ولا يأذن في بيوتكم لأحد تكرهونه فإن خفتن نشوزهن فعظوهن واهجروهن في المضاجع واضربوهن ضرباً غير مبرح ولهن رزقهن وكسوتهن بالمعروف وإنما أخذتموهن بأمانة الله واستحللتم فروجهن بكلمة الله، ألا ومن كانت عنده أمانة فليؤدها إلى من ائتمن عليها وبسط يديه وقال: اللهم قد بلغت ألا هل بلغت، ثم قال: ليلغ الشاهد الغائب فإنه رب مبلغ أوسع من سامع.

هجومياً أو انتقامياً اعتداء بالمثل، وإنما ﴿وَقَتْلُوا الْمُشْرِكِينَ كُلَّ كَفَّهٍ كَمَا يُقْتُلُونَكُمْ كُلَّ كَفَّهٍ﴾ فيهن دفاعاً مضيقاً وفي غيرهن موسعاً ﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ إياه في سلبية القتال وإيجابيته بحدوده، وهكذا في كافة السلبيات والإيجابيات.

ذلك، ولتحقيق ﴿فِيهِنَّ﴾ على كل ﴿أَثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ وجه على هامش ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ فالظلم فيها مضاعف وفي سائر الأشهر موحد غير مضاعف، إلا أن يضاعف بملاسات أخرى.

وقد يدل ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ على وجوب الحفاظ على عديد ﴿أَثْنَا عَشَرَ شَهْرًا﴾ دون تبديل للسنة إلى غيرها، وكذلك قمريتها، وحرمة ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ دين قيم في حقل الزمن بمثلث الزوايا، فالمتخلف عنها كلها أم بعضها متخلف عن ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ المكتوب في كتابي التكوين والتشريع، ومن التخلف في ﴿أَرْبَعَةٌ حُرُمٌ﴾ النسيء بحساب الأشهر غير القمرية على حساب الشمس.

ذلك، ومن ﴿ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ﴾ الأئمة الاثنى عشر الذين هم تأويل الشهور الاثنى عشر حسب

المروى عن النبي ﷺ: «الأئمة بعدي اثنا عشر»^(١) «حجج الله على الخلق بعدي اثنا عشر»^(٢) «أوصيائي بعدي اثنا عشر أولهم علي وآخرهم المهدي»^(٣) «يملك من ولدي اثنا عشر خليفة»^(٤) «اثنى عشر كعدد نقباء بني

(١) ملحقات إحقاق الحق ١٣ : ١ - ٧٤ و ١٩ : ٦٢٨ - ٦٣٢ .

(٢) المصدر ٤ : ٩٤ .

(٣) المصدر ٤ : ١٠٣ ، ٣٦٥ و ١٣ : ٦٩ و ٢٠ : ٥٣٨ .

(٤) المصدر ١٣ : ٧٤ و ٧ : ٤٧٧ و ١٣ : ١ - ٨ ، ١٦ - ١٧ ، ٢٠ - ٢١ ، ٣١ - ٣٢ ، ٣٥ ، ٤٧ ، ٧٤ .

إسرائيل»^(١) فقد «نص بإمامتهم وهم إثنا عشر»^(٢) «فنظرت فرأيت إثنا عشر نوراً وفي كل نور سطر أخضر عليه اسم وصي من أوصيائي»^(٣).

ذلك، وقد نجد مواصفاته التي لا تحدّ ولا تحصي في ألفين من مؤلفات إخواننا أو تزيد، كما فصلت في ملحقات إحقاق الحق.

﴿وَقَاتِلُوا الْمُشْرِكِينَ كَافَّةً﴾ قتلاً يكف عنكم بأسهم، وعلّ تاءها للمبالغة عناية إلى مبالغة الكف في ذلك القتال ﴿كَمَا يَقْتُلُونَكُمْ كَافَّةً﴾ قتلاً يكف عنهم بأسكم، فلا تعني ﴿كَافَّةً﴾ الجميع، وإنما هي القتال الكافة حيث تكف عنكم بأسهم، فهي - إذاً - حرب دفاعية.

﴿وَأَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُتَّقِينَ﴾ على أية حال وهنا في مسرح القتال، في أصله وفي زمنه وفي كفه وكيفه، تجنباً عن قتال الذراري والعجزة والصبيان ومن ألقى إليكم السلام^(٤) وقاتل من لا يقاتلكم ولا هو فتنة عليكم.

وهنا ﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ كما المشركين ﴿وَأَقْتُلُوهُمْ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ﴾^(٥) سواء دون شمول لأهل الكتاب حيث الصيغة الصالحة للشمول ﴿الْكُفْرِينَ﴾ و﴿الْمُشْرِكِينَ﴾ تعني في مصطلح القرآن العباد الرسميين للأوثان دون كل المنحرفين عن التوحيد ككفرة أهل الكتاب، وقد قبل بينهما في البينة: ﴿لَمْ يَكُنِ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ وَالْمُشْرِكِينَ مُنْفَكِينَ﴾^(٦).

﴿إِنَّمَا النَّسِيءُ زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ يُضَلُّ بِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا يُحْلُونَهُ عَامًا

(١) المصدر ١٣: ٤٤ - ٤٥ و ١٩: ٦٢٩ - ٦٣٠.

(٢) المصدر ١٣: ٥٦، ٧١ و ١٣: ٤٩ - ٧٤.

(٣) المصدر ٥: ٩٣.

(٤) خلاف ما قتل خالد في حنين امرأة فأرسل إليه النبي ﷺ ينهاه مشدداً، وقتل رجالاً قد أسلموا من بني جذيمة فقبراً النبي إلى الله من فعلته ثلاثاً، وقتل أسامة يهودياً أظهر له الإسلام فنزلت: ﴿وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْفَىٰ إِلَيْكُمْ أَلْسَلَمَ لَسْتَ مُؤْمِنًا...﴾ [النساء: ٩٤].

(٥) سورة النساء، الآية: ٨٩.

(٦) سورة البينة، الآية: ١.

وَيُحَرِّمُونَهُ عَامًا لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ زَيْنٌ لَهُمْ سُوءُ أَعْمَالِهِمْ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْكَافِرِينَ ﴿٣٧﴾ :

النسيء هنا هو الشهر المؤخر حيث تعودت الجاهلية لتنسى من الأشهر الحرم مصلحة تحليل القتال فيها أو سماح الحج، حيث كانت تعرض حاجات لبعض قبائل العرب تتعارض مع تحريم هذه الأشهر، وهنا تتلاعب الأهواء ويقوم من يفتي باستحلال أحد الأشهر الحرم عن طريق تأخيرها عام وتقديمه في آخر، فطالما عديد الأشهر الحرم يبقى أربعة ولكن أعيانها كانت تتبدل بتبديل الأسماء في ذلك النسيء التأخير (١).

ولقد كان في العام التاسع من الهجرة رجب الحقيقي غير رجب، وذو الحجة غير ذي الحجة، فرجب واطئ جمادي الآخرة وذو الحجة واطئ ذو القعدة، وكان نفر الجهاد فعلاً في جمادي الآخرة واقعاً وفي رجب مختلفاً، فرشقت سهام هذه النصوص على تلك الجاهلية الحائرة المائرة إبطالاً للنسيء عن بكرته حيث كان خلاف سنة التكوين والتشريع ﴿لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فَيُحِلُّوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ (٢).

(١) في مجمع البيان قال مجاهد: كان المشركون يحجون في كل شهر عامين فحجوا في ذي الحجة عامين ثم حجوا في المحرم عامين ثم حجوا في صفر عامين وكذلك في الشهور حتى وافقت الحجة التي قبل حجة الوداع في ذي القعدة ثم حج النبي ﷺ في العام القابل حجة الوداع فوافقت ذا الحجة فذلك حين قال النبي ﷺ في خطبته: ألا إن الزمان قد استدار كهيئته يوم خلق السماوات والأرض السنة إثنا عشر شهراً منها أربعة حرم . . . حيث أراد بذلك أن الأشهر الحرم رجعت إلى مواضعها وعاد الحج إلى ذي الحجة وبطل النسيء، وفي كتاب الخصال عن عبد الله بن عمر عن النبي ﷺ كلام من خطبة له ﷺ ﴿فَلَا تَظْلِمُوا فِيهِ أَنْفُسَكُمْ﴾ [التوبة: ٣٦] فإن النسيء زيادة في الكفر يضل به الذين كفروا . . . وكانوا يحرمون المحرم عاماً ويستحلون صفر عاماً ويحرمون صفر عاماً ويستحلون المحرم، أيها الناس إن الشيطان قد يئس أن يعبد في بلادكم، أقول: وهذا النسيء داخل في طليقه خارج عن مورده في الآية ﴿لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ﴾ [التوبة: ٣٧].

(٢) الدر المنثور ٣: ٢٣٧ - أخرج عبد الرزاق وابن المنذر وابن أبي حاتم وأبو الشيخ عن =

ولقد زاد هذا الكفر ركاماً على جاهلية الإشراك فأصبح ﴿زِيَادَةٌ فِي الْكُفْرِ﴾ حيث كانوا ﴿يُحْلُونَهُ عَامًا وَيُكْرِمُونَهُ عَامًا﴾ كأنهم هم المشرعون أمام الله، والقصد من تراوح التحليل والتحرير ﴿لِيُؤَاطُوا عِدَّةَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ فِيهِ الْقِتَالِ﴾ فَيُحْلُوا مَا حَرَّمَ اللَّهُ ﴿بذلك النسيء

فقد جمعوا إلى تحويل موضوع التحريم بذلك النسيء أصل التحليل والتحرير به، احتيالاً حائلاً عن تحليل الله وتحريمه، ولذلك استحقوا ذلك التنديد الشديد المديد.

وليسوا هم فحسب، هكذا كل المحتالين في الأحكام والموضوعات الشرعية تسميته لها بالحيل الشرعية، ولا حيلة للشرع في تحليل ما حرم أم تحرير ما حلل، وإنما الحيلة لهذه الأغباش الأنكاد الذين ينسبون حيلهم المحرمة إلى الشرع نفسه استرواحاً في جريمتهم البشعة المتصورة بصورة الفتوى، أو العملية الشرعية مثل الحيل المختلفة في حقل الربا وما أشبه، هزء سافراً بأحكام الله!

والنسيء الكافر على نوعين، أحدهما احتساب الأشهر حسب سير

= مجاهد في الآية قال: فرض الله الحج في ذي الحجة وكان المشركون يسمون الأشهر ذوا الحجة والمحرم إلى ذوا الحجة ثم يحجون فيه ثم يسكتون عن المحرم فلا يذكرونه ثم يعودون فيسمون صفر صفر ثم يسمون رجب جمادي الآخرة ثم يسمون شعبان رمضان ورمضان شوال ويسمون ذا القعدة شوال ثم يسمون الحجة ذا القعدة ثم يسمون المحرم ذا الحجة ثم يحجون فيه واسمه عندهم ذو الحجة ثم عادوا مثل هذه القصة فكانوا يحجون في كل شهر عاماً . . ثم حج النبي ﷺ حجته التي حج فيها فوافق ذو الحجة فذلك حين يقول النبي ﷺ في خطبته: إن الزمان قد استدار . .

وفيه أخرج ابن أبي حاتم عن السدي في الآية قال: كان رجل من بني كنانة يقال له جنادة بن عوف يكنى أبا أمامة ينسى الشهور وكانت العرب يشتد عليهم أن يمكثوا ثلاثة أشهر لا يغير بعضهم على بعض فإذا أراد أن يغير على أحد قام يوماً بمنى فخطب فقال: إني أحللت المحرم وحرمت صفر مكانه فيقاتل الناس في المحرم فإذا كان صفر عمدوا ووضعوا الأسنة ثم يقوم في قابل فيقول: إني قد أحللت صفر وحرمت المحرم فيواطئوا أربعة أشهر فيحلوا المحرم.

الشمس ، وثانيهما تناسي بعض الأشهر في العدّ وتسمية البعض باسم الآخر
إنساء قاصداً ليواطئوا عدة ما حرم الله .

وتعودا على ذلك النسيء خيل إلى ضعفاء من المؤمنين أن الحرب
محرمة اعتباراً بأن جمادي الآخرة المحمولة إلى رجب هو في الحق رجب
فاستحرموا فيه القتال، ولذلك تشدد النكير عليهم وعلى مختلقي النسيء
هكذا، وهكذا ﴿زَيْنَ لَهُمْ سَوْءُ أَعْمَالِهِمْ﴾ حيث زين لهم الشيطان أعمالهم
وكانوا مستبصرين كما وزين الله جزاءً وفاقاً أن لم يصد الشيطان عن ذلك
التزيين .

﴿بَتَّائِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمْ أَنْفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَنْقَلْتُمْ إِلَى
الْأَرْضِ أَرْضَيْتُمْ بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا مِنَ الْآخِرَةِ فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي
الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ (٣٨) :

رغم أن قضية الإيمان بالله الترقب لأمر الله تحقيقاً له حقيقةً بالإيمان،
نرى جماعة من الذين آمنوا يتشاقلون عن أمر النفر في سبيل الله إلى أرض
الحياة الدنيا المتاع ﴿فَمَا مَتَّعُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا قَلِيلٌ﴾ .

ذلك، ومع العلم أن متاع الحياة الدنيا في الآخرة لا كثير ولا قليل إذ
لا ينفع أصحابه ما لم يقدموه لها، وما قدموه فهو كثير غير قليل، فكيف
يعتبر هنا في الآخرة قليلاً .

علّ «في» هنا لظرف القياس دون واقع لمتاع الحياة الدنيا في الآخرة،
فهو قياساً إلى متاع الآخرة قليل ضئيل وكما ﴿وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا
فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَّعٌ﴾ (١) .

أم و﴿قَلِيلٌ﴾ في واقعة، فإن قليلاً من المؤمنين يقدمون متاع الحياة